إستهلال

الصليب والكنيسة

تأليف: أدي كلور

«احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨).

يتفق الملمون بمفهوم العهد الجديد عن الكفارة للخطيئة بان «المسيح بدون الصليب يكون بلا قوة كالصليب بدون المسيح». ولكن خبر الإنجيل السار هو ان المسيح (مسيح الله) الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس قد بذل حياته الجسدية على الصليب من أجل خطايانا (١ كورنثوس ١٥: ٣). لم يكن المسيح بدون الصليب ولا الصليب بدون المسيح – ونتيجة لذلك اصبح للخاطيء رجاء!

إن مركز قصة الكتاب المقدس هو ذبيحة ابن الله على الصليب من أجل الإنسان. إن وشاح العهد الجديد مصبوغ باللون الأحمر بدم الصليب الملوكي. إن صفحات العهد القديم بظلال نبوءاتها، وصفحات العهد الجديد بحقيقتها التاريخية تقطر بدم المسيح. أجرى هنري

ثيسن عملية حسابية فوجد فيها أن سجل الأحداث للأيام الثلاثة الأخيرة من حياة يسوع تشكل خُمْس الأناجيل الأربعة. وكتب بانه لو تم وصف حياة يسوع كما في السنين الثلاثة والنصف الاخيرة من خدمته العامة بهذا القدر من التفصيل الدقيق لكانت الأناجيل مؤلفة من مجلد به ٤٠٠ ، ٨ صفحة. وقدر توري بان ١ من كل ٥٣ آية في العهد الجديد تشير بصفة خاصة إلى موت المسيح.

الصليب هو العلامة الايجابية لكل سلبيات العالم. لو حُذف الصليب من الأسفار المقدسة، لاصبح الكتاب المقدس جذعاً فارغاً في غابة كثيفة. المسيحية هي الديانة الوحيدة في العالم التي مركزها هو ذبيحة إلهية من أجل الخطيئة وقيامة تلك الذبيحة من بين الأموات.

في عالم الخطيئة والخطاة، في عالم الإثم وعدم التقوى، عالم الانفصال والألم، يكون الصليب **قوة الله للخلاص**؛ وهو كفارة إلهية لمشكلة العالم الأساسية. مكتوب: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله» (١ كورنثوس ١: ١٨)؛ «وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يوحنا ٢: ٢).

في وسط النزاعات الروحية، والابتعاد عن الله وعدم الوحدة معه، يكون الصليب أداة الله للسلام والمصالحة. كتب بولس: «وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه ...» (كولوسي ١: ٢٠). وتقول الرسالة إلى أهل أفسس ٢: ١٤-١٦ ما يلي: «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً جديداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة».

حيث يكثر الجوع الروحي والفقر والخراب، تُوزع

عناية الله الفادية وغنى البر مجاناً عند الصليب. قال بولس: «ولكننا نكرز بالمسيح مصلوباً ...» وقال أيضاً بان المسيح المصلوب «صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١ كورنثوس ١: ٢٣ و ٣٠).

لا شك في أن الروح القدس قد سلط الأضواء على صليب المسيح بصفته الواسطة ورسالة الكتاب المقدس الأساسية.

وبسبب تشابك الصليب هذا مع كل الحقائق الأخرى المختصة بالفداء، يتوقع الشخص أن تنبع الكنيسة من الصليب كما يتدفق الينبوع من المنبع وكأشعة شافية من الشمس. تؤكد القراءة الدقيقة للعهد الجديد بان الأمر هكذا. لا يمكن أن تكون هناك مسيحية بدون المسيح ولا مسيحية بدون كنيسة، كما انه لا يمكن أن يكون هناك جسد بدون رأس أو رأس بدون جسد. الميزة البارزة للعهد الجديد هي اعلانه بان الصليب والكنيسة قد جُمعا معاً واندمجا في خطة واحدة، كنعمة الله المدبرة للبشرية الضالة. بالصليب يجمع الله جميع شعوب الأرض في عائلة جديدة (جسد واحد في المسيح) شعبه المختار.

لنتأمل بعمق في هذه الفكرة: أي كيفية ارتباط الكنيسة بالصليب؟ ما هي علاقة الكنيسة بالصليب؟ وماذا يعمل الصليب للكنيسة؟

تأسست الكنيسة بواسطة الصليب

أولاً: يؤسس الصليب الكنيسة. تنبثق الكنيسة من خلال فداء الخطاة. لو لم يكن الصليب لما كانت هناك كنيسة.

عندما يستجيب الشخص بإيمان الطاعة للمسيح مخلصه وابن الله، يُغْسَل من خطاياه في دم المسيح (أعمال ٢٢: ١٦). وبهذا الغسيل يُضم إلى جماعة المفتدين

والمخلصين التي يسميها العهد الجديد بـ« الكنيسة ». لهذا السبب أمكن لبولس أن يتحدث عن يسوع بانه اشترى الكنيسة بدمه. قال لشيوخ أفسس: « فاسهروا إذن على أنفسكم وعلى جميع القطيع الذي عيّنكم بينه الروح القدس نُظّاراً، لترعوا كنيسة الله التي اشتراها بدمه » (أعمال ٢٠: ٢٨). من الواضح أن يسوع مات على الصليب من أجل الكنيسة. قال بولس: « ... أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » (أفسس ٥: ٢٥). كان القصد من موت يسوع هو أن يأتي بجماعة « المدعوون » إلى الوجود والذين يعيشون في هذا العالم في شركة مع المسيح ويكرسوا أنفسهم لعمله الروحي. قال بولس لتيطس بان يسوع « بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة » (تيطس ٢: ١٤).

بعد ما تحدثتُ في إحدى الأمسيات في اجتماع تبشيري بجنوب ولاية أركنساس، تقدمت إليّ سيدة بقصة غير عادية ومؤثرة. قالت لي عن حادثة وقعت لها عندما كانت في الرابعة من عمرها، حيث كانت تعيش حينذاك في مدينة دالاس بولاية تكساس. كانت ألاسرة تسكن بالقرب من شارع رئيسي مزدحم بالسيارات، وكان فناء البيت الذي يعلب فيه الأطفال صغيراً. وفي إحدى الأمسيات كانت هي ومجموعة من الأطفال يلعبون في الفناء. قالت بانها لم تذكر اسم اللعبة التي كانوا يلعبونها بالكرة، ولكنها تذكر ان الكرة ارتدت منها متدحرجة نحو الشارع الرئيسي. فركضت ورائها دون تفكير. وعندما مدت يدها لتلتقطها، جمدت في مكانها مرتعبة حيث رأت عربة نقل كبيرة قادمة نحوها. وقد رآها أخوها الذي كان يبلغ من العمر تسع سنوات تركض نحو الشارع. ورأى أيضاً الشاحنة. فانطلق وراءها

كالبرق آملاً أن يأتي بها إلى بر الأمان. ركض أمام عربة النقل ودفعها بعيداً عن الشارع منقذاً إياها من موت محتم مخاطراً بذلك بحياته. كانت تلك اللحظة كافية لذلك الولد لينقذ اخته الصغيرة، ولكن للآسف لم تكن كافية لانقاذ نفسه. فصدمته الشاحنة ومات في الحال.

قالت السيدة بانها لم تذكر الكثير من تفاصيل تلك المأساة، ولكنها تذكر كيف حُمل جسد أخاها الذي فارقته الحياة من الشارع ووضع في شُرفة بيتهم لكي تأتي سيارة الإسعاف وتأخذه. قالت بتعبير وتقدير عميق: « مات أخي لأجلي ». هي مسيحية مخلصة، ولكن وجودها وخدمتها في الكنيسة اليوم خلقتهما تضحية أخيها لأجلها قبل سنوات كثيرة.

هكذا بطريقة مشابها، بل وأكثر عمقاً، تحصل الكنيسة على الحياة من خلال ذبيحة المسيح. لم يكن موته سبباً في دخولنا الحياة فحسب، بل هو مصدر دائم للحياة؛ موته هو ذبيحة كفارة بالنسبة لنا ووسيلة لغفران الخطايا. جاء يسوع إلى هذا العالم، وسار بيننا كالإله الإنسان، وبموته اقتنى لنفسه شعباً امتلكه الله (١ بطرس ٢: ٩). الكنيسة غير مبنية من الطابوق والاسمنت، بل شعباً تم شراءه بالدم.

نستطيع ان نستجيب إلى ذبيحة المسيح بثلاث طرق. أولاً: بأن نقبل الصليب، وذلك لتقدير ما عمله المسيح لآجلنا. يعبر المفتدين عن شكرهم بفرح من أجل عطية نعمة المسيح! كان المسيح غنياً بأمجاد السماء؛ ومع ذلك افتقر من أجلنا إذ ترك السماء وصار إنساناً لكي نغتني نحن بفقره (٢ كورنثوس ٨: ٩). ثانياً: ينبغي أن نستجيب لكي نجعل من موته شيئاً خاصاً وشخصياً. إذا قبلنا بالحقيقة ما عمله، سنقبله في حياتنا. بالإيمان بالمسيح والخضوع إليه نقبل فوائد موته في حياتنا

(رومية ٦: ١-٤). انه مات لأجل الجميع (عبرانيين ٢: ٨ و٩). ولكن الذين يطيعونه هم وحدهم الذين ينالون فوائد موته (عبرانيين ٥: ٨ و٩). ثالثاً: ينبغي أن نستجيب إلى ذبيحته بالعطاء السخي (١ كورنثوس ١٥: ٥٨). ننتمي إلى المسيح جسداً ونفساً وروحاً (١ كورنثوس ٦: ١٩ و٢٠)، وعليه يكون عملنا في هذا العالم هو أن نقوم بالخدمة التي يعطيها ويوجهها ويفرح بها.

الكنيسة مطهرة بالصليب

ثانياً: يطهر الصليب الكنيسة باستمرار. قوته المطهرة تتدفق في شعب الله ومن خلاله. كما ان دم جسدنا يدور في عروقنا ويمدنا بأسباب الحياة ويطهرنا، هكذا أيضاً يجري دم يسوع العزيز من خلال شعبه بقوة تمدهم بأسباب الحياة.

نحن لا نحتاج إلى الخلاص فحسب، بل نحتاج أيضاً إلى الاستمرار في حالة الخلاص. تتسع الكنيسة كلما يتم غسل إنسان خاطيء في دم المسيح بالخضوع إلى إنجيله، وبالنعمة الإلهية الموضوعة في المسيح. يتم تطهير المسيحي بالدم باستمرار عندما يسلك يومياً في النور. «ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١ يوحنا ١: ٧). وضع يوحنا الكلمة «يطهرنا» في صيغة المضارع المستمر في اللغة اليونانية مما يدل على استمرار عملية الغسل.

المسيحي ليس إنساناً كاملاً، لكنه يحاول ان يقلل من خطاياه وينمو في المسيح كل يوم. هو ليس بلا عيب، ولكن ينبغي أن يكون بلا لوم. وجود الخطيئة في حياة الخاطيء يستلزم الخلاص بدم المسيح، والخطيئة في حياة المسيحي تستلزم استمراره في حالة الخلاص بدم

المسيح. نحن لن نفقد أبداً الحاجة إلى الغفران في هذا العالم.

لو لم يكن هناك صليب،
لما كانت هناك كنيسة.

كانت مشاهدة طفلينا وهما يحاولان ركوب دراجتيهما شيئاً ممتعاً. لقد واجها مشكلتين أساسيتين لإكتساب تلك المهارة، وهما : المقدرة على ركوب الدراجة، والمحافظة على توازنها. كما قال طفل ما: «إما ان تدوس على الدواسة باستمرار أو تنزل عن الدراجة أو تسقط منها». كانت المهمة الأولى سهلة لهما. الصعود على المقعد، ووضع إحدى القدمين على الدواسة والانطلاق بالدفع. اما المهمة الثانية فكانت الجزء الآصعب. وهي الدفع بالدراجة بسرعة كافية لكي لا يحدث السقوط. والاخفاق في المهمة الثانية يؤدي إلى السقوط وقد يصاب الراكب بأذى.

يمكن اعتبار الخلاص على انه يشمل بُعدين، كما هو في حال تعليم ركوب الدراجة: أولاً يجب على الخاطيء أن يتصالح مع الله. فالتصالح شيئاً ضرورياً ولكنه البداية فقط. المشكلة نفسها التي جعلته خاطئاً في المقام الأول (أي لطخة الخطيئة في حياته)، هي المشكلة التي تدينه بعد ما يصير مسيحياً إن لم يستمر في التطهير (أعمال ٨: ٢٢). إذا كان يحتاج إلى الخلاص من خطيئته قبل أن يصير مسيحياً، أفلا يحتاج أيضاً إلى الخلاص من خطاياه بعد ما يصير مسيحياً؟

يبقى المسيحي في الخلاص طالما هو «يسلك في النور» السير في النور يشمل على ميزتين روحيتين

كما يعتبره يوحنا الرسول. يبدأ بوضع الثقة في يسوع للخلاص: «وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يوحنا ٢: ٢). من الواضح اننا لا نستحق الخلاص (أفسس ٢: ٨ و٩). قال يسوع باننا إذا استجبنا له بالإيمان والطاعة، فهو يخلصنا. يجب أن نثق بانه سيفعل ما وعد به. أننا بالإيمان نسلك لا بالعيان (٢ كورنثوس ٥: ٧).

السير في النور يتطلب أيضاً عمل مشيئته بإخلاص. كتب يوحنا: «هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة» (١ يوحنا ٥: ٣)؛ «من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه» (١ يوحنا ٢: ٤ و٥). إذن السير في النور يعني الاعتراف بخطايانا (١ يوحنا ١: ٨ و١٠)، نعترف بخطايانا لله (١ يوحنا ١: ٩) ونصحح خطايانا بتوافق مع قدرتنا (١ يوحنا ٢: ٢٩). ويعنى أيضاً أن يسلك أحد كما سلك المسيح (١ يوحنا ٢:٦) ويتبع وحي الله بإخلاص، أي الأسفار المقدسة (٢ تيموثاوس ٣: ١٦).

يلزم الصليب الكنيسة

ثالثاً: يلزم الصليب الكنيسة ويدفعها. انه يغرس الدافع الروحي في قلب الكنيسة لكي تصير ما أراد لها المسيح وتقوم بالعمل الذي يريد لنا القيام به.

لا يحتاج المسيحيون إلى تطهير دائم فحسب، بل يحتاجون أيضاً إلى إثارة داخلي وقوة شخصية. تعطي المسيحية دوافع عظيمة؛ ربما نعمة الله هي الأسمى والأكثر دوامة. والصليب يسيطر. قال يسوع: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يوحنا ١٢: ٣٢). وكتب بولس: «فإن محبة المسيح تسيطر علينا، وقد

حكمنا بهذا: ما دام واحد قد مات عوضاً عن الجميع، فمعنى ذلك أن الجميع ماتوا؛ وهو قد مات عوضاً عن الجميع حتى لا يعيش الأحياء في ما بعد لأنفسهم بل للذي مات عوضاً عنهم ثم قام » (٢ كورنثوس ٥: ١٤ و١٥).

يلهمنا الصليب بمحبة أعظم لله ولبعضنا البعض. كتب يوحنا: « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً » (١ يوحنا ٤: ١٩). بتأملنا المستمر في محبته لنا، نبدأ نحبه محبة أعمق. قال يوحنا أيضاً: « بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة » (١ يوحنا ٣: ١٦). أي نظرة شاملة في حياة يسوع تعطي صور جديدة مثيرة لعمق وثبات محبته لنا. التأمل في هذه الصور يبث فينا محبة مشابهة ليسوع ولبعضنا البعض: « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٢ كورنثوس ٣: ١٨).

يجعلنا الصليب نكره الخطيئة ونزدري بها. هناك شهادتان بليغتان لشر الخطيئة والدمار الذي تجلبه وهما صليب الجلجثة ونفق الهلاك الأبدي الذي بلا نهاية. لا أحد يفهم الهدف من الصليب وضرورة الجحيم ويجادل بان لارتكاب الخطيئة أي فضيلة. لا ينسى المسيحي أن فداءه قد تم شراءه بموت ابن الله الشنيع على الصليب خارج أورشليم. أمكن لله القدير أن يوفر كفارة للخطيئة بذبيحة ابنه فقط. هذا الحدث الغالي يجب أن يجبر أصحاب العقول الراجحة على نبذ الخطيئة والتحول عنها.

يحثنا الصليب على وهب أنفسنا بلا تحفظ للمسيح وعمله. انه يزودنا بالدوافع والإلهام والقوة الداخلية لخدمة بلا كلل. كتب بولس: « إني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء » (رومية ١: ١٤). وقال أيضاً:

«ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١ كورنثوس ١٥: ١٠). لا يوجد مسيحي له كل الدوافع ليقوم بعمل المسيح أكثر من المسيحي الذي يدرك بإخلاص ويقدِّر ما عمله الله من أجله على الصليب.

تحكى قصة عن امرأة كانت متزوجة برجل لا قلب له. وبسبب التعهد الذي قطعته عند الزواج به، قررت أن تكون زوجة طيبة بالرغم من انها كانت تعيش مع زوج لا يهتم بها. كانت تطبخ له طعامه، وتغسل ثيابه، وتعتني بالبيت. وكانت تقوم بكل ما هو مطلوب منها كزوجة، ولكنها لم تكن سعيدة أبداً. اتسمت حياتها بروتين ممل دون مكافأة أو فرح. مات ذلك الزوج، وبعد زمن تزوجت بآخر. وكان الزوج الثاني يختلف عن الأول تماما. كان يحبها ويقدّرها ويدعمها. بقيت له الزوجة ذاتها كما كانت للأول- ولكَن بفارق وحيد - لقد أحبت كل لحظة فيه! كانت زوجة طيبة في الزواج الأول بدافع الواجب، اما في زواجها الثاني فكانت زوجة صالحة بدافع السرور. يا للفرح الذي ينبع من المحبة!

كنيسة المسيح تحفظ بكل حرص وصايا الرب. انها تحقق أمنياته وتتمم خططه، ولكنها لا تجد حياة الطاعة ثقيلة بسبب قوة المحبة المجبرة والإلهام الداخلي لنعمته. «فإن هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة» (١ يوحنا ٥: ٣).

لنفكر في ما عمله المسيح لأجلنا، ونتأمل فيه يومياً. هذا التأمل في عطية الخلاص يغيرنا يوماً فيوماً إلى صورته، ويدفعنا إلى القيام بأعمال المحبة في ملكوت نعمته.

الخلاصة

بتصميم الله تم ربط الكنيسة والصليب معاً. خلق الصليب الكنيسة وطهرها وكملها.

عندما كان يسوع يتألم على الصليب جدفت عليه الجموع التي كانت هناك بتجديفين، هما: «خلص نفسك!» و«قد أتكل على الله فلينقذه الآن إن أراد» (متى ٢٧: ٣٩-٤٣). لم يلاحظ الجمع بانهم كانوا يضربون على أساس مهمة الله عينها. لو كان الله قد أنقذ يسوع من الموت على الصليب، ولو كان يسوع قد خلص نفسه لكان من المستحيل للكنيسة أن تأتي إلى الوجود ؛ لأن الكنيسة تتكون من الذين غُفرت لهم خطاياهم السالفة بالصليب، ويطهرهم الصليب يومياً وينقيهم. بالإضافة إلى ذلك بدون الصليب تكون الكنيسة بلا دافع داخلي في حياتها المستمرة، ما دامت الكنيسة ملزمة بالصليب لتكون شعب الله وتعمل عمل الله بالطريقة التي يريدها الله.

إن كنت خارج الكنيسة فاسرع بالدخول إليها، لأن بدخولك إلى الكنيسة فانك تنال جميع فوائد الصليب. الكنيسة ليست إلا جماعة من الناس تم فدائهم بدم المسيح ويعيشون كأبناء الله.

تحيط بكل شخص في هذا العالم عطايا الله. فهو يوفر لنا الهواء للتنفس والماء للشُرب، والأرض لنعيش فيها، وعلاقات أُسرية وعائلية لنستمتع بها مع بركات أخرى لا تُحصى. لا يستطيع أحد أن يحدد كل إحسانات الله. لا شك في أن أعظم تعبير عن نعمته هو الخلاص الذي يمنحنا بالمسيح. وهذا يشمل على أكبر تكلفة لله، ويدفع أكبر حصة للخطاة الذين ينالونه.

لقد رأى الكثيرون يد الله المجيدة في البركات المادية التي باركهم بها، ولكنهم لم ينالوا إحسانه

المطلق، أي: الخلاص. هل تنطبق عليك هذه العبارة؟ بالإيمان بيسوع (رومية ١٠: ١٠) والتوبة عن الخطيئة (أعمال ١١: ١٨) والاعتراف بالمسيح انه ابن الله (رومية ١٠: ١٠) والمعمودية في المسيح (غلاطية ٣: ٢٧) يمكنك أن تدخل في جسد المسيح (١ كورنثوس ١٢: ١٣)، الذي هو مكان النعمة وتنال الحياة الأبدية. قال بولس: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟» (رومية ٦: ٣)؛ «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة» (أفسس ١: ٧ و٨).

يدعوك يسوع بواسطة صليبه للمغفرة والحياة التي تكوِّن جسدها، أي الكنيسة. أتقبل دعوته هذه؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧